صورة المرأة في غزل البحتري

الدكتورة نورة صالح الشملان
جامعة الملك سعود بالرياض
كلية الآداب

صورة المرأة في غزل الشعراء الذين سبقوا البحتري :

حظيت المرأة باهتمام الشعراء منذ الجاهلية فقصائدهم تفتتح بذكرها والتشوق اليها ، ولو ألقينا دظرة سريعة على تراثنا الشعري قبل عصر البحتري لوجدنا وصفا دقيقا للمرأة ووقوفا عند كل جزء من أجزاء جسمها وتفننا في اظهار محاسنها .

فهذا امرؤ القيس يصف محبوبته بقوله :

اذا قلت ماتي نوليني تمايلت
على هضيم الكشح ريا المخلخل[1]

مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل[2]

كبكر المقاناة البياض بصفرة
غذاها نمير الماء غير المحلل[3]

نوليني : من النوال وهو العطية ، الهضيم : الضامرة .
المهفهفة : الضريبة اللحم المخففة ، المفاضة ، الضخمة البطن .
الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .
السجنجل : المرأة بالرومية ، بكر المقاناة : البيضة التي هي أول بيضة باضتها النعامة التي خلط بياضها بصفرة .

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي
بناظرة من وحش وجرة مطفل[1]

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش
اذا هي نصته ولا بمعطم[2]

وفرع يغشى المتن أسود فاحم
اثيث كقنو النخلة المتعثكل[3]

غدائره مستشزرات الى العلى
تضل المدارى في مثنى ومرسل

وتسح لطيف كالجديل مخصر
وساق كأنبوب السقى المذلل

وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريع ظبى أو مساويك اسحل

تضيء الظلام بالعشاء كأنها
منارة ممسى راهب متبتل

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل[7]

الشتيت : المتفرق ، ناظرة مطفل : للأم التي لها طفل فهي تلتفت اليه في كل حين ، وحش وجرة : الظبا والمهاء ، وجرة : موضع قريب من البصرة ، الرئم : الظبي الابيض الخالص البياض ، الفاحش : ما جاوز القدر المحمود ، يغشى : يغطي ، المتن : الظهر ، المتعثكل : الذي دخل بعضه في بعض لكثرته .

فتيت المسك : ما تفتت منه أي أي تحات عن جلدها في فراشها وقيل كان فراشها فيه المسك من طيب جسدها .

تنتطق : تلبس النطاق والنطاق شقة يلبسها المرأة وتشد بها وسطها للمهنة والعمل والتفضل هو لبس الفضلة وهي ثوب واحد يلبسه المترفون .

والابيات تبين ان امرأ القيس قد وقف أمام المرأة وقفة تأمل فوصفها وكأنه يصف تمثالا للجمال وقد أشاع في تمثاله هذا حركة وحيوية وحياة .

ففتاته بيضاء البشرة طويلة العنق كثيفة الشعر فاحمة ضامرة البطن ممتلئة الساق ناعمة البنان وهي ليست تمثالا جامدا بل هي انسان متحرك وفي حركاتها سحر وجمال فهي تارة تختفي عن حبيبها وتارة تظهر له وهي تلتفت وتنظر اليه بعينين ساحرتين تائهتين كهيتي الظبية الام الملتفتة الى طفلها بعينيها تحرسه بنظراتها وتتبعه بحنانها .

ولا ينسى الشاعر ان يصف بنانها الرخص الناعم وأناملها الطويله ولا ينسى أن يخلع عليها صفة عمة وكأنه يجمل بهذا الايجاز ما فصله من صفات اذ يجعلها كالسراج المضيء لحسنها وبياضها .

ويكسب تمثاله الحياة مرة أخرى حين يتغنى برائحتها التي أسبت فراشه طيبا كطيب المسك وامراة هذه صفاتها لابد ان تكون مترفه لها من يقوم بخدمتها فهي لا تعرف الكدح ولا تلجأ الى العمل .

وتكتفي بهذا النموذج لصورة المراة عند أشهر شعراء الغزل في الجاهليه لننتقل الى صورتها عند بعض الشعراء الاسلاميين .

ولنأخذ نموذجا من شعر حسان بن ثابت مما قاله يوم أحد يهجو ابن الزبعري يقول :

منع النوم بالعشاء الهموم
وخيال اذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه
سقم فهو داخل مكتوم
يا لقومي هل يقتل المرء مثلي
واهن البطش والعظام سئوم

شأنها العطر والفراش يعلو
ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر
عليها لاندبتها الكلوم(١)

وفي العصر الاموي يكثر شعراء الغزل وتتنوع مدارس هذا الفن وتنمي بالوصف المفصل لجمال المرأة وهو وصف يذكرنا بما قاله امرؤ القيس وسنكتفي بهذا النموذج من غزل عمر بن ابي ربيعة يقول :

غادة تغتر عن أشنبها
حين تجلو عن اقاح او برد
وبها عينان في طرفيهما
حور منها وفي الجيد غيد
طفلة بردة القيظ اذا
معمعان الصيف ضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى
تحت ليل حين يغشاه الصرد
ولقد أذكر اذ قلت لها
ودموعي فوق خدي تطرد
قلت من أنت فقالت أنا من
شقة الوجد وأبلاه الكمد
نحن أهل الخيف من أهل منى
ما لمقتول قتلناه قود

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ص٨١ .
تحقيق سيد حنفي حسنين ، مراجعة حسن كامل الصيوفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .

قلـــت أهـــلا أنتـــم بغيتنـــا
فتســـمين فقـــالت أنـــا هنـــد
انمـــا ضـــلل قلبـــي فاجتـــري
صـــعدة في ســـابري تطـــرد
انمـــا اهلـــك جـــيران لنـــا
انمـــا نحـــن وهـــم شيء احـــد
حـــدثونا انهـــا لـــي نفثـــت
انمـــا نحـــن وهـــم شيء احـــد
حـــدثونا انهـــا لـــي نفثـــت
عقـــدا يا حبـــذا تلك العقـــد
كلمـــا قلـــت متـــى ميعـــادنا
ضحكت هند وقالت بعـــد غـــد

نلاحظ ان عمر في هـذه الأبيات قد عرض علينا ألونا مختلفة من الغزل فقد اعتمد على الوصف في الأبيات الثلاثة الأولى ففتاته امرأة ناعمة مبتسمة ناصعة الاسنان في عينيها حور وفي جيدها سحر وفي قربها دفء ثم يعقد حوارا بينه وبينها ويظهرها جريئة في التعبير عن احاسيسها وهي جراة لا يستسيغها العرف العربي انها تجيبه بالقول :

قلت مـن أنت فقالت أنـــا مـن
شـــفه الوجـــد وأبـــلاه الكمد

لا نريد أن نطيـل في الحديث عن صورة المـرأة في غزل الأمويين ونمضي مع السنين سريعا لنلتقي بشعراء الغزل في العصر العباسي وليكن لقاؤنا مع بشار بن برد الذي تفنن كثيرا في وصف محاسن المرأة ولم يترك جزءاً من أجزاء جسمها الا وقف عنده بالرغم مما ابتلى به من عاهة العمى

التي حالت دون رؤيته للنساء بعينيه فصار يبصر بأذنيه حينا وبقلبه وضميره حينا آخر وقد عبر عن ذلك اذ قال :

يزهدني في حب علوة معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فصلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقد كان بشار صادقا فوصف النساء وصفا لا يدركه الا المبصرون ، فقد تحدث عن ثغرها فقال :

وبذي طعم شنيب بارد عذب اللثات[٣]

ووصف أسنان حبيبته عبده وكأنه حاد البصر فقال :

زانها مسفر وثغر نقي
مثل در النظام فيه استواء[٤]

ويلتقي بشار بامرىء القيس الذي يفضل أن يكون بياض البشرة مشوبا بصفره ولعله ، وهو الضرير الذي لا يدرك الألوان كان متاثرا باستاذه حين قال :

بيضاء صفراء قضافية
ما نالها بر ولا حانث[٥]

---

(٢) ديوان بشار بن برد ، ج٤ ص١٢ .
(٣) السابق ، ج٢ ص١٤٠ .
(٤) السابق ، ج١ ص١١٨ .
(٥) الديوان ، ج٢ ص٦٢ .

ويلتقي مشار بأعشى قيس في وصفه لمشية المرأة فيقول :

تمشـي الهـوينى بين نسـوتها
مشـي النزيف صـفت مشاربه[٦]

ولا شك انه ينسج على منوال اعشى قيس الذي يقول :

غـراء فرعـاء مصقول عوارضها
تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل[٧]

وتحدث بشـار عن زينة المرأة ووصف طويلا عند طيب رائحتهـا فقـال :

وبيضاء يندى خـده وجبينها
من المسك فوق فوق المجمر المتأجج[٨]

تلك لمحة سريعة موجزة عن صورة المراة عند بعض الشعراء الذين سبقوا البحتري اردنا أن نجعلها تمهيدا للحديث عن صورة المرأة في غزل أبي عبدة .

١ ـ علاقة البحتري بالمرأة :

قبل أن نتحدث عن علاقة البحتري بالمرأة يجدر بنا أن نقف وقفة قصيرة عند هذا الشاعر الذي يذكـر صاحب الأغني أن اسمه الوليد بن يحيى وينتهي نسبه الى قبيلة طيء[٩] .

ـــ ولد بمنبج سنة خمسة ومائتين وتوفى سنة أربع وثمانين ومائتين .

---

(٦) السابق ، ج١ ص٢١٩ .
(٧) الشعر والشعراء ، ج٢ ، ص٦٢٢ .
(٨) ديوان بشار ، ج٢ ، ص٨٠ .
(٩) الاغاني لصفهاني ، ج٢ ، ص٣٩ .

— اتصل في أول عهده بالشعر بأبي تمام فاعجبه وشهد له بالحذق في صنعة لشعر • وكتب موصيا به أهل معرة النعمان[١٠] •

— ذهب الى العراق واتصل بالخلفاء وارتبط اسمه بالمتوكل ووزيره الفتح بن خاقان •

ومجل هذه المقالة لا يسمح لنا بالحديث عن البحتري الشاعر الذي يعد بحق فارسا بارزا من فرسان الشعر في العصر العبسي لاننا قد قيدنا انفسنا بعنوان سنحول عدم تجاوزه وهو صورة المرأة في غزل البحتري •

واذا كانت أخبار الشاعر المثبتة في كتب التراجم القديمة لا تشير الى هذه العلاقة ولا تربط شاعرنا بمرأة معينة اذا استثنينا ما ذكره صاحب كتاب تاريخ الحكماء حين وصف رحلته من بغداد الى مصر ومروره بحلب اذ قال : « في وسط البلد دار علوة صاحبة البحتري »[١١] •

فن النقاد المحدثين قد لاحظوا كثرة تردد اسم علوة في شعر البحتري فربطوا بينهما بربط الحب •

ومن لذين جعلوا من البحتري عاشقا كبيرا عبدالعزيز سيد الأهل الذي يرى أن حب البحتري لعلوة كان صادقا والدليل انه ظل يذكرها حتى أواخر حياته ويرى أن علوة ربحت من وراء هذا الحب ثلث ديوان اشاعر[١٢] •

ومحمد مهدي البصير يرى أن وراء غزل البحتري بعلوة حبا حقيقيا صادقا أصيلا[١٣] • ويؤكد صالح البظي حقيقة غرام البحتري بعلوة

---

(١٠) وفيات الاعيان لابي ملكان ، ج٦ ، ص٢٨ •
(١١) تاريخ الحكماء ، ص٢٩٦ •
(١٢) عبقرية البحتري ، عبدالعزيز سيد الأهل ، ص٢٩ •
(١٣) في الادب العباسي ، محمد مهدي البصير ، ص٢٤٣ •

ويذكر أنها حبه الأول ويقف عند مجموعة من الأبيات التي تظهر صدق صبابته وأصالة حبه(١٤) .

ويؤكد مصطفى لشكعة حقيقة حب البحتري لعلوة وان كان لا يطيل في الحديث عن هـذا الحب ويكتفي بالقول « كان البحتري يتردد على حلب المدينة الكبيرة العتيدة الشهباء وترك في مرابعها الكثير من ذكريات حبه وبقايا حبيباته مترجما عن ذلك كله في الشعر الرقيق الذي ذكر فيه حلب والغزل العذب الذي أنشأه في صاحبته علوة بنت زريقة الحلبية(١٥) .

اذن حديثنـا في الصفحات المقبلة سيكون عن غرام البحتري بعلوة والديوان وما فيه من أشعار صرح البحتري فيها باسم علوة يساعدنا على أن نقول ان البحتري التقى بعلوة في حلب وقد عثرنا على أبيات في الديوان الشاعر سنة ٢٢٠ وله من العمر ثمانية عشر عاما يقول :

ألا ان علواً أفسدتني على أهلي
وقد صرت من علو عن الناس في شغل
واني وكتماني هواها وقد عشا
كذي الجهل تحت الثوب يضرب بالطبل
واني أرى أهلي جميعا وأهلهـا
يسرهم لو بان من حبلها حبلي
وما بيننـا من ريبـة في مودة
ولا مثلها يرمي بسوء ولا مثلي(١٦)

ومن هذه الابيات نستنتج ان البحتري قد صرح بحبه لعلوة وهو في

---

(١٤) البحتري بين ناقديه قديما وحديثا ، ص١٢٤ .
(١٥) الشعر والشعراء ، مصطفى الشكعة ، ص٦٨٩ .
(١٦) ديوان البحتري ، ج٣ ، ص١٨٩ .

حلب وان هذا الحب لقي معارضة من الأهل لا بل ان العلاقة بين الشاعر وأهله قد فسدت بسبب علاقته لعلوة ولم يكن أهلها أفضل حالا من أهله فقد كانوا هم أيضا يتمنون وأد هذه العاطفة ويبدو أن البحتري قد حقق ما يريده هؤلاء الأهل عن غير قصد اذ أدرك أن بقاءه في حلب بعيدا عن أضواء السياسة لن يجديه نفعا فجذبه حبه للمال والاتصال بكبار رجال الدولة من حلب الى العراق فقد أدرك وهو الشاعر الذي عرف بحبه للمال وبخله الشديد أن أشعاره بعلوة لن ترفعه الى المكانة التي يسعى اليها ولن تملأ جيوبه بالمال وأنه سيبقى ان مكث في حلب يمدح باعة البصل والباذنجان الذين لن يظفر منهم بشيء يذكر ، وهكذا شد الرحال الى العراق حيث المال والشهرة والضياع وقد حقق من ذلك ما أراد فاقتنى الضياع الواسعة التي كان لفرط بخله يأبى أن يسدد خراجها لبيت المال(١٧) .

ولم يستطع المال الذي حصل عليه ولا الشهرة التي حظى بها أن ينسياه حبيبته علوة فظل يلهج بذكرها ويعتبها وينشد وصالها على البعد في كثير من الضراعة وقليل من الأمل وحاول البحتري أن يسخر ما حصل عليه من أموال في التسلية والعبث فأقبل على الشراب والغلمان فكان له غلام اسمه نسيم كان يبيعه على الناس ثم ينشأ القصائد في التشوق اليه والندم على بيعه فلا يلبث من اشتراه أن يعيده الى الشاعر(١٨) .

ولكن هذا العبث لا ينسيه حبيبته البعيدة فانتقل من عالم الواقع الى أحلام اليقظة مطلقا لخياله العنان واذا بالشاعر يضعنا أمام لقاءات مختلة واذا به يصف لنا علوة من خلال طيفها وكأنها أتت تزوره حقا ويتفنن

---

(١٧) أخبار البحتري للصولي ، ص١٠٥ـ١١٩ .

١٨ـ راجع أخبار بخله في الاغاني ، ج٢ ص٣٩ ووفيات الاعيان ، ج٦ ص٢٨ ، ومعجم الادباء ، لاج٧ ص٨٠ .

في وصف تلك الزيارة وفي الحديث عن محاسن المحبوبة حتى يجعلنا نشعر أنه يصف موقفا وجدانيا حقيقيا .

ويصحبنا الشاعر في خلوة له مع طيف محبوبته فيقول :

أقامت على الهجران ما ان تجوزه
وخالفها بالوصل طيف لها يسرى
فكم في الدجى من فرحة بلقائها
ومن فرحة باليين منها لدى الفجر
اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة
شتتنا تباشير النهار الى الهجر
ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها
وزورتها بعد الهدو وما تدري
وأخذي بعطفيها وقد مال ردفها
بلينة العطفين مهضومة الخصر
عناق يروى غلتي وهو باطل
ولو أنه حق شفى لوعة الصدر(١٩)

وتمضى السنون وشاعرنا يلهج بذكر علوة دون أن يشفي غلته في لقاء حقيقي ويودع حياته وعاطفته تجاه علوة خالدة لم ينل منها اعراض أو ملل أو قسوة . وسأحاول أن أقف عند أبيات تمثلت فيها اتجاهات الشاعر في غزله بعلوة .

قال في مقدمة قصيدة يمدح بها المتوكل :

أُخفي هوىً لك في الضلوع وأُظهر
وأُلام في كَمَدٍ عليك وأُعذرُ

---

(١٩) ديوان البحتري ، ج٢ ، ص١٠٤-١٠٠٥ .

وأراك خُنتِ على النوى من لم يخن
عهد الهوى وهجرت من لم يهجرُ

وطلبتُ منك مودة لم أعطها
ان المُنَى طالب لا يَظفر

هل دَيْنُ (علوة) مستطع فيُقتضى
أم ظلم (علوة) يستفيق فيُقصَرُ

تمشي فتَحكُمُ في القلوب بدلّها
وتَميسُ في ظل الشباب فتخطر

وتميلُ من لين الصبا فيُقيمُها
قَدٌّ يؤنّثُ تارةً ويُذكّر

اني وان جانبتُ بعضَ بطالتي
وتوَهّم الواشون أنّي مقصر

ليشوقني سحرُ العيون المُجتلى
ويروقني وَرد الخدود الأحمر(٢٠)

فهو يصرح باسمها ويتشوق الى مودتها ويؤكد أنه على العهد باق فهو محب دائم الصبابة على حين خانت حبيبته العهد وهو يستحلي ظلمها وكأنه يلتمس لنفسه عذرا في هذا الغرام فيذكر شيئا من محاسنها .

ان المعاني التي طرقها البحتري في هذه الأبيات يكررها في معظم أبيات الغزل التي خص بها علوة ونكاد نستنتج منها طبيعة العلاقة التي ربطت بين الشاعر ومحبوبته فهو دائم الشكوى من صدها ونفورها ويقابل ذلك اصراره على الوفاء والاخلاص فهو يقول :

---

(٢٠) الديوان ، ج٢ ، ص١٠٧٠-١٠٧١ .

ردي على المشتاق بعض رقاده
أو فاشركيه في اتصال سهاده
أسهرته حتى اذا هجر الكرى
خليت عنه ونمت عن اسعاده
وقسا فؤادك أن يلين للوعة
باتت تقلقل في ضميم فؤاده
ولقد عزرت فهان طوعا للهوى
وجنبته فرأيت ذل فياده(٢١)

وهجران علوة للبحتري جعله يقذف ببعض الحكم التي تعبر عن تجربة حقيقية فهي صادقة في مضمونها يقول :

ليس في العاشقين أنقص حظا
في التصابي من عاشق مهجور(٢٢)

ومن اللقاء وفرحة المشتاق به يهتدى البحتري الى هذه الحكمة •

فلو فهم الناس التلاقي وحسنه
لحبب من أجل التلاقي التفرق(٢٣)

والحديث عن العواذل والحساد الذين يفسدون العلاقة بين الشاعر وعلوة تكرر كثيرا في غزله ودارت على محوره كثير من الأبيات في الديوان بل ان ما فاناه شاعرنا من تدخل الوشاة ومحاولاتهم المتكررة لافساد الود بينه وبين علوة جعله يتمنى أن هؤلاء العذال يجربون الحب ويكتوون بناره لعلهم يدركون بعد ذلك آلام العشاق •

---

(٢١) الديوان ، ج٢ ص٧٠٢ •
(٢٢) السابق ، ج٢ ، ص٨٨٤ •
(٢٣) السابق ، ج٣ ، ص١٥٣٥ •

يقول في مقدمة قصيدة يمدح بها المعتز :

بِوُدّي لو يهوى العذول ويعشق
فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق
أرى خلقا حبى لـ (علوه) دائما
اذا لم يدم بالعاشقين التخلّق(٢٤)

وينهر لائمه في الحب قائلا :

قلت للآثم في الحب : أفق
لا تهون طعم شيء لم تذق(٢٥)

وشعر البحتري بعلوة مملوء بالمواقف التي تبين اصرار الشاعر على الاخلاص رغم قسوة الاقدار والعوائق التي تحول دون اللقاء مما يدل على أصالة حبه لها وديمومة هذا الحب وتمكنه من نفسه وما قاله في ذلك :

لي حبيب قد لج في الهجر جِدا
وأعاد الصدود منه وأبدى
ذو فُنُون يريك في كل يوم
خُلُقا من جفائه مُستجدا
رق لي من مدامع ليس ترقا
وارثِ لي من جوانح ليس تهدا !
أتراني مستبدلا بك ما عشـ
ـت بَديلا أو واجدا منك نِدّا ؟
حاش لله ! أنت افتنُ ألحا
ظا ، وأحلى شكلا وأحسن قدا(٢٦)

---

(٢٤) السابق ، ج٣ ، ص١٥٣٤ .
(٢٥) الديوان ، ج٣ ص١٤٧١ .
(٢٦) السابق ، ج٢ ص٧١١ .

والبحتري يعبر في هذه الأبيات عن عواطفه وعن آلامه ومعاناته من صدود محبوبته ثم يشفع ذلك بالحديث عن جمالها ووصف محاسنها وكأنه يتخذ من وصف تلك المحاسن وسيلة الى اشباع نفسه وتعزيتها عن هجران المحبوبة أو كأنه يلتمس من الآخرين العذر عن اصراره على الغرام بتلك المرأة التي لا تبادله عاطفته .

وشاعرنا يؤكد أنه شقي بهذا الحب وأن هجران محبوبته له قد بلغ شأوا بعيدا جعله يشكو بلوعة وشجن ... لقد إبتلاه الله بحب من لا يحبه فشكواه مريرة ساخرة فهو يقول :

صيرتني غاية العشاق كلهم
فكلهم يتأسى بي اذا هجرا
لا أذكر الدهر يوما منك أبهجني
والدهر يبعث مني الحزن والعبرا
ملأت عيني فلا تسمو الى أحد
وقد أحبك قلبي فوق ما قدرا
طرفي يحسن لي شخصا أضر به
كأن طرفي عدوى كلما نظرا
لو كان يسعد انسان بصدق هوى (١٢)
كنت السعيد الذي لم يمس محتقرا (٢٧)

والأبيات تظهر معاناة شاعرنا لعاطفة لا جدوى منها وهي تعكس اخفاقا في الحب وأن الشاعر قنع من تجربته بالشكوى من مرارتها . وباختصار شديد نقول ان غزل البحتري بعلوة كان يظهره محبا مخلصا محروما حرمانا دائما وأن عاطفته في هذا الغزل ملتهبة وان غزله يستمد قوته من

(٢٧) ديوان البحتري ، ج٢ ص١٠٩١ .

حرمانه فقد احب علوة فصدته عنه وقد اتخذ من طيفها وزيرته له عوضا عن هذا الصد وهذا الهجران فحقق في الخيال ما عجز عن تحقيقه في الواقع .

ومن الأضواء التي يسلطها ديوان البحتري على العلاقة التي جمعت بينه وبين علوة تبادل الرسائل بينهما .

ويرى بعض الدارسين أن هذا اللون من الغزل ظاهرة حضارية مبتدعة وأنها صدى للعصر الذي صارت المرأة فيه تجيد القراءة و كتابة[٢٨] .

يقول البحتري متحسرا :

نبذت مكاتبتي ورد رسائلي
وتبدلت مصباحها في المسجد[٢٩]

ويعرض علينا مضمون رسالة أتته من علوة فيقول :

قلت لما حكى كتابك أني
قد تغيرت ، ما لهذا جواب[٣٠]

أما البحتري فقد أكثر من كتابة الرسائل حتى مل كاتبه يقول :

كتبت فأكثرت الكتاب اليكم
كذي رغبة حتى لقد مل كاتبي[٣١]

ويحاول أن يستميل قلبها بالهدايا فترد هديته اليه فيقول والحزن يملأ قلبه :

---

(٢٨) الشعر والشعراء ، مصطفى الشكعة ، ص٣٧١ .
(٢٩) ديوان البحتري ، ج٣ ص٧٦٢ .
(٣٠) الديوان ، ج١ ص٣١٤ .
(٣١) الديوان ، ج١ ص٣١٢ .

ردت على هـدية لو أنهـا
بعثـت الى بمثلهـا لم اردد[٣٢]

والبحتري يحلو له ان يؤكد انه لا يستمع الى اقوال العذال الذين يوبخونه ويطلبون منه ان يكف عين حبه لعلوة او يقلل من تهالكه عليها ويزيد ان اقوالهم هذه تزيد من تعلقه بها واصراره على الاستمرار في عشقها يقول :

ان تغل في اللوم أغرق في اللجاج ، وان
تكثر من العذل اكثر من جوى الكمدف
وموضح لي سبيل الرشد قلت لـه
الرشد صـاب وبعض الغي من شـهد[٣٣]

ويبعث لها من العراق بامنيته لديارها بالسقيا فيقول :

قل للسحاب اذا حدته الشمأل
وسرى بليـل ركبـه المتحمـل
عرج على (حب) فحي محلة
مأنوسـة فيهـا لعلـوة منزل
لغريرة أدنو وتبعـد في الهـوى
وأجـود بالود المصـون وتبخل[٣٤]

ولو استرسلنا في عرض الأبيات التي قالها البحتري متشوقا لعلوة لامتد من نفس هذه المقالة فشعره فيها كثير وهو في جملته يمثل عاطفة صادقة قوامها الأمل والذكر والحنين الى الماضي .

---

(٣٢) السابق ، ج٢ ص٧٦٢ .
(٣٣) السابق ، ج١ ص٥١٤ .
(٣٤) السابق ، ج٣ ص١٥٩٩ .

٢ ـ جمال المرأة في غزل البحتري :

يعرض علينا البحتري في شعره ألوانا مختلفة من الجمال وقد كانت الظبء والافحوان وزهر الرمان والتفاح والخمر والمسك والعاج والبدر والغصن والكثيب والقضيب والنرجس كل هذه الاشياء كانت موارد يقتبس منها شاعرنا عناصر الجمال .

وهو يمزج عنصرين او اكثر لاظهار صورة محبوبته فيجعلها كالشمس والقمر معا في قوله :

كالبدر الا انها لا تجتلي
والشمس الا انها لا تغرب[٣٥]

والتفاح والخمر في :

كم غرام لنا بألحاظ عينيـ
ـه شهى الى النفوس عذابه
وسرور بمشهد منه ، والتفا
ح خداه والمدام رضابه[٣٦]

ويجمع بين الشمس والقضيب والرئم في هذا البيت :

فهي الشمس بهجة والقضيب الـ
ـغض لينا والرئم طرفا وجيدا[٣٧]

وشاعرنا مغرم بالخال الذي يجمل خدها فيقول :

كل عان يترجى فكّه
ولذات الخال عان ما يفك

---

(٣٥) ديوان البحتري ، ج١ ص٧٢ .
(٣٦) السابق ، ج١ ص١١٦ .
(٣٧) ديوان البحتري ، ج١ ص٥٩١ .

حسب ليلى أنني لم أنفكك
من أسى يشجى اذا الخالي ضحك[٣٨]

ويجعل المؤلو قسما مشترك بين اسنانه ودموعه فيقول :

وتصحك عن نظم من اللؤلؤ الذي
أراك دموع الصب كاللؤلؤ النثر[٣٩]

ويعتمد على التضاد في اظهار جمال محبوبته فيقول :

وقد بهيت فؤادي لو يطاوعني
عن ذي دلال غريب الحسن مفرده
مثل الكثيب تعالى في تراكمه
مثل القضيب تثنى في تاوده[٤٠]

ولخد أسيل أبيض والطرف كحيل أسود ولعجز ضخم كالكثيب والخصر دقيق كالقضيب . ويعتمد على التضاد اللوني في وصف وجهها حين يقول :

وطرف ساحر غنج كحيل
ووجه ليس ينكر للضياء[٤١]

ويقول أيضا :

كأنما وجهه والشعر يلبسه
بدر تنفس في ذي ظلمة داج[٤٢]

---

(٣٨) السابق ، ج٣ ص١٥٦٣ .
(٣٩) السابق ، ج٢ ص١٠٠٤ .
(٤٠) السابق ، ج١ ص٤٩٨-٤٩٩ .
(٤١) السابق ، ج١ ص٤٥ .
(٤٢) السابق ، ج١ ص٤٣٢ .

ومحبوبة البحتري تظهر عربية في كمال زينتها فبدنها مخضب بالحناء وجسدها مصمخ بالمسك وأصوات الحلي عند مشيها تعلن عن قدومها يقول معبرا عن ذلك :

لوت بسلام بنانا خضيبا
ولحظ يشوق الفؤاد الطروبا
وزارت على عجل فاتسى
لزورتها ابرق الحزن طيبا
فكان العبير بها واشيا
وجرس الحلي عليها رقيبا(٤٣)

ومشية المراة كان لها نصيب كبير من اهتمام الشاعر فهو القائل :

يقوم من تثنيها اعتدال
يكاد يقال من هيف نحول(٤٤)

ومن مظاهر الزينة التي ذكرها البحتري في غزله الخلاخيل يقول :

شين على خمائل ذي طلوح
وقد ضاقت بما فيها الحجول(٤٥)

فخلخال صاحبته ضيق يعض على ساقيها وقد أكثر الشعراء قبله من التغني بهذا المعنى من ذلك ما قاله كثير عزه :

يجول الوشاح بأترابها
وتأبى خلاخلها أن تجولا(٤٦)

---

(٤٣) ديوان البحتري ، ج١ ص١٥٠ .
(٤٤) السابق ، ج٣ ص١٨٢٣ .
(٤٥) السابق ، ج٣ ص١٨٢٣ .

ان النماذج السابقة تبين لنا أن البحتري قد صور لنا المنظور العام لجمال المرأة فهي ضامرة البطن ممتلئة الأرداف صافية البشرة سوداء العينين فاترة الطرف أسيلة الخد مضيئة كالشمس خفيفة الحركة كالغزال زكية الرائحة كالورد متزينة بالحلي متطيبة بالمسك .

وأن عشرات الأبيات في ديوان البحتري لتدور في فلك هذه الصفات وتكررها وتعرضها في أثواب مختلفة الأشكال ولكنها تستقي من منهل واحد .

٣ - أخلاق المرأة في شعر البحتري :

اذا بحثنا عن صفات المرأة الخلقية وجدناه يؤكد أنها تلك المرأة التي لا تفي بوعدها يقول :

علمتك ان منيت منيت موعدا
جهاما وان أبرقت أبرقت خلبا(٤٧)

ويبدو أن البحتري وجد من حبيبته ما وجده كعب بن زهير حين قال :

كنت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها الا الأباطيل

ويجعل من عاداتها نقض العهد فيقول :

أتراها دامت على العهد أم من
عادة الغانيات نقض لعهود(٥٨)

---

(٤٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٤٧) ديوان البحتري ، ج١ ص١٩٧ .
(٤٨) السابق ، ج٢ ص٧٢٨ .

والحتري في هذه النظرة يقترب من استاذه أبي تمام حين قال :

فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها
سجية نفس كل غانية هند(٤٩)

ولكنه لا يصل الى ما وصل اليه المتنبي من اقرار بغدر المرأة حين قال :

اذا غدرت الحسناء وفت بعهدها
فمن عهدها الا يدوم لها عهد(٥٠)

ولكن هذه لحبيبة المستعصية التي لا تفي حين تعد بالوصال تكون وفيه حين توعد بالهجر يقول معبرا عن ذلك :

وعدتنا فما وفت بوصال
ووفت حين أوعدت أن تصدا(٥١)

وبخلها يزيده اصرارا على حبها والشغف بها يقول :

تلك البخيلة ما وصلي بمنصرف
عنها ولا صدها عني بمصدود

وحبيبة البحتري امرأة مجربة تتقن التلاعب بقلب من يهواها فهي تبدي له الود حتى اذا تأكدت من وقوفه في غرامها تركته يتقلب على جمر الشوق والوجد يقول مخاطبا نفسه :

---

(٤٩) ديوان أبي تمام ، ج٢ ص٨١ .
(٥٠) ديوان المتنبي ، ج٢ ص١٠٤ .
(٥١) ديوان البحتري ، ج١ ص٥٧٠ .
(٥٢) السابق ، ج١ ص٥٥٦ .

أذاقتك طعم الوصل ثم تنمرت
عليك بوجه لم يكن يعرف القطبا
وقد وثقت بالوصل منك فأصبحت
تزيدك بعدا كلما زدتها قربا(٥٣)

ومحبوبته ظالمة ولكنه يستحلي هذا الظلم بل انه لا يريد لنفسه الشفاء من هذا الحب يقول معبرا عن ذلك :

وأود أني ما قضيت لبانتي
منكم ولا أني شفيت غليلي
وأعد برئي من هواك رزية
والبرء أكبر حاجة المخبول(٥٤)

ويبلغ الأمر بالشاعر الى استجداء حبها والاعتراف بعبوديته لها فيقول :

اني عبد وأنت مولى
فابلغ رضا الله في العبيد(٥٥)

وعبودية البحتري لمحبوبته هي استجابة للعرف العربي في الغزل وقصة عمر بن أبي ربيعة مع ابن أبي عتيق مشهورة فقد سمع له شعرا يظهر منه الاستعلاء على محبوباته ويظهر فيه أنه المطلوب لا الطالب ولا بأس من ايراد هذه الأبيات وان كانت قصتها مشهورة .

ذكر صاحب العمدة أن ابن عتيق سمع أبيات عمر بن أبي ربيعة التي يقول فيها :

---

(٥٣) ديوان البحتري ، ج١ ص٣٠٥ .
(٥٤) السابق ، ج٣ ص١٨٣٩ .
(٥٥) السابق ، ج٢ ص٧٩٧ .

بينمـــا ينعتنـــي أبصـــرتني
دون قيد الميل يعـدو بي الاغر
قالت : الكبرى : أتعرفن الفتى
قالت الوسطى : نعم هذا عمر

فقل له النقد : انت لم تنسب بهن ، وانما نسبت بنفسك وانما كان ينبغي لك أن تقول :

قلت لي فقلت لها فوضعت خدي فوطئت عليه[٥٦] .

والفراق أحيانا يكون الدواء الشافي من حب يئس وقد عبر البحتري عن هذا المعنى حين قال :

ان الهوى والنوى شيئان ما اجتمعا
فخليا أحدا يصبو الى أحـــد
وما ثنى مستهاما عـــن صبابته
مثل الزّماع ووخد العرمس الأجد[٥٧]

واذا كان البحتري قد عرض علينا في غزله حبا يميز بالحرمان والجفاء على القرب فانه تفنن أيضا في وصف الوداع وساعات الفراق ومن نماذج ذلك قوله :

أكنت معنفي يوم الرّحيـــل
وقـــد لجت دموعي في الهمول
عشية لا الفـراق أفـــاء عزمي
اليّ ولا اللقـاء شـــفى غليلي

---

(٥٦) العمدة ، ج٢ ص١٢٤ .
(٥٧) ديوان البحتري ، ج١ ص٥٧٤ .

دنت عند الوداع لوشك بعد
دنو الشمس تجنح للأصيل

وصدّت لا الوصال لها بقصد
ولا الاسعاف منها بالمخيل(٥٨)

فالشاعر وحده الذي يقاسي لوعة الفراق وهو وحده الذي يسكب الدموع أما حبيبته فهي كما عهدها دائما صادة نافرة وهو بهذا يناقض ما قاله ابن الرومي معاصره والذي جعل النساء يبكينه وهو يكتفي بوصف جمالهن اذ قال :

لو كنت يوم الفراق حاضرنا
وهن يطفين غلة الوجد

لم تر الا دموع باكية
تقطر من مقلة على خد

كأن تلك لدموع قطر ندى
تقطر من نرجس على ورد(٥٩)

ومن أجمل الأبيات التي وصف فيها البحتري حالة المحب وما يتميز به من تسامح قوله :

سلاها كيف ضيمت الوصالا
وبتت من مودتنا الحبالا

وأضحت بالشام ترى حراما
مواصلتي وهجراني حلالا

---

(٥٨) السابق ، ج٣ ص١٧٣٦ .
(٥٩) ديوان ابن الرومي ، ج١ ص٦٠ .

هل الحسناء مخبرتي : أهجرا
أرادت بالتجنب أم دلالا
ولي كبد تلين على التصابي
وتأبى في الهوى الا اشتعالا
وعين ليس تألوني انسكابها
وقلب ليس يألوني خبالا
وقد علم الوشاة ثبات عهدي
اذا عهد الذي أهواه حالا(٦٠)

ان شاعدنا هنا يتحدث عن نفسه بصدق ويصف ما يلاقي من عنت فهو رجل غلبه الحب وقهرته الصبابة فباح بمكنون سره ومكتوم حبه دون تهيب من واشٍ أو عذول ، فالأبيات تتميز بروعة الصدق وجلال الوفاء وبتصويرها للنفس الانسانية أجمل تصوير وبتمثيلها أدق تمثيل .

وقريب من ذلك قوله :

ألاحظها فتعلم ما أريد
وتلحظني فيرمقها الحسود
ومالي غير مسترقات لحظي
اذا ما ثاب من خير أفيد
ولي نفس يرددها اكتئاب
وعين نومها أبدا طريد
وقلب هائم فيه احتراق
يكاد بشده البلوى يبيد(٦١)

---

(٦٠) الديوان ، ج٣ ص١٧٢٨-١٧٢٩ .
(٦١) السابق ، ج٢ ص٧٩٦ .

انا من خلال هذه الابيات نستطيع أن نتعرف على طبيعة هذا الحب الذي لا يعرف من اللقاء الا هذه اللحظات السريعة الخاطفة وهذا القلق الداخلي وتلك العاطفة المتوهجة التي لا ينال منها حسود ولا تتأثر باعراض أو ملل أو قسوة .

والبحتري يكاد يطابق استاذه أبا تمام حين عبر عن صبابته بقوله :

زفرات مقلقات أسعدتها العبرات
وعويل من غليل أضرمته الحسرات
ونحيب ووجيب ودموع مسيلات
وتباريح اشتياق وهموم طارقات(٦٢)

ويدعو البحتري الى الاستشهاد في الحب فيقول :

مت شهيد الهوى فان لمن ما
ت من الحب ضعف أجر الشهيد(٦٣)

فشاعرنا يجعل شهيد الهوى كشهيد الحرب بل أعظم من شهيد الحرب وأظن شاعرنا كان متأثرا بقول جميل :

يقولون : جاهد يا جميل بغزوة
وأي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل عندهن شهيد(٦٤)

ولعل جهاد النفس أعظم مشقة من الجهاد في المعارك كما عبر عن ذلك المتنبي حين قال :

---

(٦٢) ديوان أبي تمام ، ج٤ ص١٧٥ .
(٦٣) ديوان البحتري ، ج٢ ص٨٠٦ .
(٦٤) ديوان جميل ، ص٤٠ .

كم قتيل كما قتلت شهيد
بياض الطلى وورد الخدود(٦٥)

ويتحسر البحتري ويتمنى ألا يموت قبل أن يرى سلوة ويشفى غليل قلبه الملتاع من رؤيتها فيقول :

قد خفت ألا أراكم آخر الأبد
وأن أموت بهذا الشوق والكمد(٦٦)

وهو قريب من قول أحد شعراء الغزل :

فيا رب إن أهلك ولم ترو هامتي
بليلى أمت لا قبر أعطش من قبري(٦٧)

وتبدو القناعة بالشاعر أقصى مداها حين يقول :

أصبحت لا أطمع في وصلها
حسبي أن يبقى لي الهجر(٦٨)

وقد بلغ البحتري في قناعته ما لم يبلغه كثير عزة في أبياته المشهورة التي عدها النقاد شاهدا على قناعة الشاعر العذري وهم يستشهدون بها كلما تحدثوا عن جميل فهو يقول :

واني لأرضى من بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله

---

(٦٥) ديوان المتنبي ، ج٢ ص٣٨ .
(٦٦) الديوان ، ج٢ ص٧٦١ .
(٦٧) مدامع العشاق ، ص١٧٢ .
(٦٨) الديوان ، ج٢ ص٩٦٦ .

وبانظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخـــره لا نلتقي وأوائلـــه(٦٩)

ومن احسان البحتري أنه عبر عن المعنى ببيت واحد على حين احتاج كثير الى ثلاثة أبيات والايجاز فضيلة لا تحتاج الى تأكيد .

وتأتي أوقات على البحتري يحاول فيها وأد حبه والاستماع الى النصح ويعرض علينا حالته التي تتأرجح بين قوة الصمود والاستماع الى نداء العقل والاستجابة لداعي الشوق والافصاح عن الأسى والشجي يقول :

أطاع عاذله في الحب اذ نصحا
وكان نشوان من سكر الهوى فصحا

فمـا يهيجه نوح الحمام اذا
ناح الحمام على الأغصان أو صدحا

وربمـا استدعت الأطلال عبرته
وشاقه البرق من نجد اذا لمحا

ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ، ولا
دمعي بأول دمع في الهوى سفحا(٧٠)

والشاعر يخبرنا أنه حاول أن يطيع ناصحه أو بالأصح حاول أن يستجيب للمشفقين الذين يدركون ما يقاسي ولكنه لم يلبث أن ضعف وأعلن عن ضعفه بل لم يتردد في الحديث عن صبره المغلوب فكأنه يستغيث من بطش الحب وسلطانه .

---

(٦٩) الاغاني ، ج٧ ص١٠٣ .
(٧٠) الديوان ، ج١ ص٤٤٠ .

واذا كنا قد لمسنا كيف اشتكى البحتري من الصدود وكيف كان يتألم منه فاننا هنا نراه يرضى بالصدود على أن يكون قريبا من محبوبته قال معبرا عن ذلك :

شكونا الصدود فجاء الفرا
ق فأنسى الجوانح وقع الصدود(٧١)

ويحضرني هنا بيتان لا أدري من قائلهما ولكنهما يدوران في فلك تلك الفكرة وهما :ـ

وكنت أرى أن الصدود منية
يكون مع الليل التمام حضورها
فلما قضى التفريق بالبعد بيننا
وجدت الليالي كان حلوا مريرها

ووصل اليأس بالشاعر الى أن يقول :

نولينا وأين منك النوال ؟
أوعدينا ووعد متلك آل
أنا راضٍ بأن تجودي بقولٍ
كاذب أو بطيف منك خيال(٧٢)

ويبدو أن شاعرنا ظل وفيا لمحبوبته حتى آخر يوم في حياته فهو يشكو صبابته ويشكو حرمانه ويعترف أنه لم يبلغ ما يريد يقول :

قد قلت لما رأيت الموت ينزل بي
وقال يهتف بي ناعي أو هتفا

---

(٧١) الديوان ، ج٢ ص٧٦٥ .
(٧٢) السابق ، ج٣ ص١٨١١ .

أموت شوقا ، ولا ألقاكم أبدا
يا حسرتا ! ثم يا شوقا ويا أسفا
اني لأعجب من قلب يحبكـــم
وما يرى منكم ودا ولا لطفـا(٧٣)

٤ ـ ذكر الشيب في غزل البحتري :

لاشك أن العشاق يفزعون من الشيب وقد تفنن البحتري في البكاء على شبابه الذي زال وأكثر من التنكر للشيب الذي هجم عليه وهو يقص علينا كيف اكتشف الشيب في رأسه وعارضيه فيقول :

جلـوت مرآتي ، فيـا ليتني
تركتها لم أجـل عنهـا الصـدا
كي لا أرى فيهـا البياض الذي
في الرأس والعارض مني بدا !(٧٤)

ولاشك أن البيتين يظهران الألم الذي أحس به حين رأى الشيب حتى تمنى أن مرآته لم تكن مصقولة فهو كالمفجوع الذي لا يريد أن يواجه الحقيقة بل يعتصم بالشك لينجو من قسوة اليقين .

أما لماذا يفزع شاعرنا من الشيب فقد أعطانا الاجابة حين قال متحدثا عن حبيبته :

ورأت لمـة ألم بهـا الشـيب
فريعت من ظلمـة في شروق(٧٥)

---

(٧٣) الديوان ، ج٣ ص١٤٤٣ .
(٧٤) السابق ، ج١ ص٦٥ .
(٧٥) السابق ، ج٣ ص١٤٨٥ .

ويدير هذا الحوار بينه وبين محبوبته التي رأت في رأسه الشيب لأول مرة فيقول :

قلت : الشيب بدا قلت : أجل !
سبق الوقت ضرارا وعجل
ومع الشيب على علاته
مهلة للهو حينا والغزل(٧٦)

فهو لا يجعل الشيب ناهيا عن الغزل وانما يحاول أن يستمهله لعله يستمتع ببعض الوقت .

ويحلو للشاعر أن يعزى نفسه ويقنعها أن هذا الشيب الذي تنفر منه الحسان والذي أقلقه وأزعجه فيه شيء من الحسن بل فيه حسن كثير فهو يقول :

ولعمري لولا الأقاحي لأبصـ
ـرت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لو لم يحسن
ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء أملى
بصبوح مستحسن وغبوق
أي ليل يبهى بغير نجوم ؟
أم سحاب يندى بغير بروق ؟(٧٧)

وتعليل النفس هذا كثيرا ما يلجأ اليه الشعراء وهي محاولة يائسة للفرار من الواقع فهذا ابن الرومي يقول :

---

(٧٦) السابق ، ج٣ ص١٧١٥ .
(٧٧) الديوان ، ج٣ ص١٤٨٦ .

قـــد يشيب الفتى وليس عجيا
أن يرى النور في القضيب الرطيب[٧٨]

ولكن البحتري لا يلبث أن يعترف بالوامع ويتحسر على شبابه الذي ولى فيقول :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر
وواعظ منـــه لولا أنه حجـر
قلت مشيب وعشق رحت بينهما
وذاك في ذاك ذنب ليس يغتفر[٧٩]

ويرثي بعة ظهور الشيب على الحبيبة المستعصية فيقول :

هـواك الهـج في عيني قـذاها
وخلى الشيب يلعب في عذاري
بما في وجنتيك من احمرار ،
وما في مقلتيـك من احـورار[٨٠]

٥ ـ ظاهرة طيف الخيال في غزل البحتري :

قـال ابن رشيق القيرواني : كان البحتري أكثر الناس ابداعا في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلا يقال له خيال البحتري[٨١] .

ويعلل الدكتور محمود الربداوي كثرة وصف طيف المحبوبة في شعر البحتري بحـرمان الشاعر من محبوبته واخلاصه لها رغـم البعـد يقـول :

---

(٧٨) ديوان ابن الرومي ، ج١ ص٢٠ .
(٧٩) الديوان ، ج٢ ص٩٥٣ .
(٨٠) الديوان ، ج٢ ص٩٣٥ .
(٨١) العمدة ، ج١ ص١٢٠ .

« .. فحرمان الشاعر من مجالسة من يحب أو من مجرد رؤيته يترك الشاعر في شوق دائم وصبابة متجددة ، وهذا الشوق المتجدد يخلق ما يطلق عليه علماء النفس اسم أحلام اليقظة ... واخلاص المحب لمحبوبته هو الوقود المستمر الذي لولاه لانطفأت جذوة الحب ... وهو مضرب البعيد فاذا تظافر هذا الاخلاص مع حرمان فجر في الشاعر عبقرية التصور وبث فيه القدرة على استحضار صورة الحبيب وتقليب هذه الصورة على وجوه شتى ... »[٨٢] .

ونحن نتفق مع الباحث فيما ذهب اليه ولبحتري استطاع ان يحقق في احلام يقظته ما فشل في تحقيقه في الواقع ، واذا كنا قد استعرضنا بعض الابيات التي يبدو فيه الشاعر خائبا محروما من وصل حبيبته فان خياله قد حقق له ما يريد ومما قاله في ذلك :

اقامت على الهجران ما ان تجوزه
وخالفها بالوصل طيف لها يسرى
فكم في الدجى من فرحة بلقائها
ومن ترحة باليين منها لدى الفجرا
اذا الليل اعطاني من الوصل بلغة
تثنا تباشير النهار الى الهجر
ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها
وزورتها بعد الهدو وما تدري
وأخذي بعطفيها وقد مال ردفها
بلينة العطفين مهضومة الخصر[٨٣]

---

(٨٢) التيارات والمذاهب الفنية في الادب العباسي ، ص٢٧٣ .
(٨٣) الديوان ، ج٢ ص١٠٠٤ .

ولبحتري يتمنى هذا اللقاء ولما كان لا سبيل لذلك من محبوبه مقيمة على الهجر جرد منها شخصا آخر يخلفها في الارادة ويهرع الى الشاعر في الدجى حين تغفل العيون وبهذه الحيلة تمكن البحتري من ارضاء رغباته التي لم يكن لارضائها من سبيل .

ان الرغبة في الايجاز تمنعني من الاسترسال في عرض النماذج التي تحدث فيها الشاعر عن طيف الخيال الذي يزوره حين يغفل الرقيب وحين تسدى الحبيبة في بخلها وصدها وهجرانها .

ويحاول نسيان الحبيبة ولكن طيفها يوقظ تلك الصبابة وينفخ فيها روح الحياة يقول :

اذا نسيت هوى ليلى اشد بـه
طيف سرى في سواد الليل اذ جنحا
دنـا الي على بعـد فأرقني
حتى تلجج ضوء الصبح فاتضحا
عجبت منه تطى القاع من اضم
وجاوز الرمل من خبت وما برحا(٨٤)

ان في لهجة الشاعر انبهاراً لذلك الطيف الذي يأبى الا ان يثير الذكريات وفي البيت الثالث نسمع رنة التعجب من هذا الطيف الذي زاره بعد أن شط المزار وبعد أن ظن الشاعر أنه نسى هواه .

ويعقد شاعرنا مقارنة بين بعدها عنه ووصل طيفها له يقول :ـ

اذا قربت فهجر منـك يبعـدني
وان بعدت فوصل منك يدنيني(٨٥)

---

(٨٤) الديوان ، ج١ ص٤٤١ .
(٨٥) السابق ، ج٤ ص٢٢٤٧ .

ويتمنى شعرنا أن تتحول ساعات اللقاء التي يصفها لـه خياله الم
حبيبه فيقول :

ليلة زورة يشفي الغليل بهـا
تدن المسافة من هوى متباعـد

فلأنت في نفسي - وان غيبتي
وبعثت لي الاشجان - احلى وافد[٨٦]

ويشاطر البحتري هجر خيال محبوبته ويؤكد انه لا يأتي الا بعـد
اصطبار طويل يقول :

اما الخيال فانـه لم يطـرق
الا بعقب تشـوف وتشـوق[٨٧]

ويتشوق الى النوم ويطلبه وما ذلك الا ليفوز برؤية الطيف فيقول :

اطلب النوم كي يعـود غـراره
بخيـال يحلو لديّ اغتـراره
كـم تلاق أراكه من قـريب
صـلة الطيف طـارقا وازديارة[٨٨]

على أنه يجعل هذا الخيال سيا لسهره فيقول :

سرى من خيـل الملكيـة ما سـرى
فتيـم ذا القلب المعنى وأسـهرا[٨٩]

(٨٦) الديوان ، ج٤ ص٢١٧١ .
(٨٧) السابق ، ج١ ص٥٥٠ .
(٨٨) السابق ، ج٤ ص١٤٧٩ .
(٨٩) السابق ، ج٢ ص٩٠٦ .
(٩٠) السابق ، ج٢ ص٩٣١ .

وسعادته بزيارة طيف المحبوبة تكسبه نشوة وحبورا يقول معبرا عن هذا المعنى :

برح بي الطيف الذي يسرى
وزادني سكرا الى سكري
ونشوة الحب اذا أفرطت
بالصب جازت نشوة الخمر[٩١]

واستمع اليه وهو يرحب بذلك الطيف الذي يعطيه في الخيال ما يبخل به في الواقع :

جذلان يسمح في الكرى بعناقه
ويضن في غير الكرى بسلامه[٩٢]

وهكذا نجد أن البحتري في غزله استطاع ان يرسم صورة للمرأة التي شغفت فؤاده وسلبت لبه وهو من خلال غزله قد يثنا آلامه ووضع أيدينا على جراحه ويمكن أن نستدل من أبيات كثيرة في الديوان على ان شعرنا كان صادقا في صبابته ولكننا لا ندعي أنه ابتعد عن مسلك العشاق وأتى بما لم تأت به الأوائل ، وبعد فيمكن ان نقول في غزل البحتري ما قاله طه حسين في شعر ابراهيم ناجي ولا بأس من استعارة عبارات طه حسين فهي تعبر تعبيرا صادقا وقويا عن احساسنا ونحن ندرس غزل البحتري « ... هو من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن يقرؤا في رفق لأنهم قد فطروا على رقة لا تحتمل العنف وشدة الضغط وهو من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن نستمتع بما في شعرهم من الجمال الفني . كما نستمتع بجمال الوردة النضرة دون أن نشط عليها بالتقليب والتعذيب . هو شاعر

---

(٩١) السابق ، ج٢ ص١٠١٠ .
(٩٢) الديوان ، ج٣ ص١٩٨٨ .

هين لين رقيق حلو الصوت عذب النفس خفيف الروح ، قوي الجناح ولكن الى حد لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة ، ولا ان يرتفع الى الجو ارتفاعا بعيد المدى ... »[٩٣] .

واذا كان طه حسين قد عمم الحكم على شعر ابراهيم ناجي فنحن نجعله قاصرا على غزل البحتري دون سائر الأغراض .

وقبل أن نضع القلم نعترف أن كثيرا من غزل البحتري الذي بثه في الديوان يميل الى الضعف والتكلف وتغلب عليه الصنعة اللفظية والى جانب ذلك احتوى الديوان على شعر يدل على معاناة حقيقية .

---

(٩٣) حديث الاربعاء ، ج٣ ص١٥١٠ .

مصادر البحث ومراجعه

١ - الآمدي ، أبو القاسم بن حسن بن بشر بن يحيى (٣٧٠هـ) .
الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . ط٢ . تحقيق السيد / أحمد صقر .

٢ - أذينة : عروة : شعر عروة بن أذينة . تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ط : الثانية ١٤٠١ - ١٩٨١ .
القاهرة : دار المعرف ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م .

٣ - البحتري ابو عبدة الوليد بن عبيد يحيى (٢٨٤هـ) .
ديوان البحتري . ط٢ . تحقيق حسن كامل الصيرفي . القاهرة : دار المعرف بمصر .

٤ - بشار بن برد ، أبو معاذ بشار بن برد العقيلي (٩٥ - ١٦٧هـ) .
ديوان بشار بن برد . ط٢ . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٨٧ - ١٩٦٧م) .

٥ - البصير محمد المهدي : في الادب العباسي . ط٢ . بغداد : مطبعه السعدي ١٩٥٥م .

٦ - حسين ، طه . من حديث الشعر والنثر . ط١١ . القاهرة : دار المعرف بمصر ١٩٦٥م .

٧ - ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (٦٠٨ - ٦٨١هـ) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . بيروت : دار صادر .

٨ - الربداوي ، محمد . التيارات والمذاهب الفنية في الأدب العباسي . دمشق : جمعة دمشق : ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ .

٩ - ابن رشيق القيرواني ، أبو الحسن بن علي (٣٩٠ - ٤٦٣هـ) .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ط٥ • تحقيق محمد محيي الدين • بيروت : دار الجيل (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) •

١٠- سيد الاهل ، عبدالعزيز • عبقرية البحتري ط١ •

١١- الشكعة ، مصطفى • الشعر والشعراء في العصر العباسي • ط٥ • بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٠م •

١٢- الشمع ، حسن ، محمد • صورة المرأة في غزل ابي الطيب المتنبي • ط١ ، الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م •

١٣- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (لم تذكر الطبعة ولا سنة الطبع ، اخبر البحتري •

١٤- عمر بن أبي ربيعة • ديوان عمر بن ابي ربيعة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م •

١٥- أبو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد (٣٥٦هـ) • الاغاني • ط٢ • بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٣م • ج٢١ •

١٦- القاضي الجمجاني ، علي بن عبدالعزيز (٣٦٦) • الوساطه بين المتنبي وخصومه • ط٤ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي (١٣٨٦ - ١٩٦٦م) •

١٧- القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (٦٤٦هـ) • تاريخ الحكماء ١٩٠٣م •

١٨- ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦هـ) • الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر طه • القاهرة : دار المعارف ١٩٦٧م •